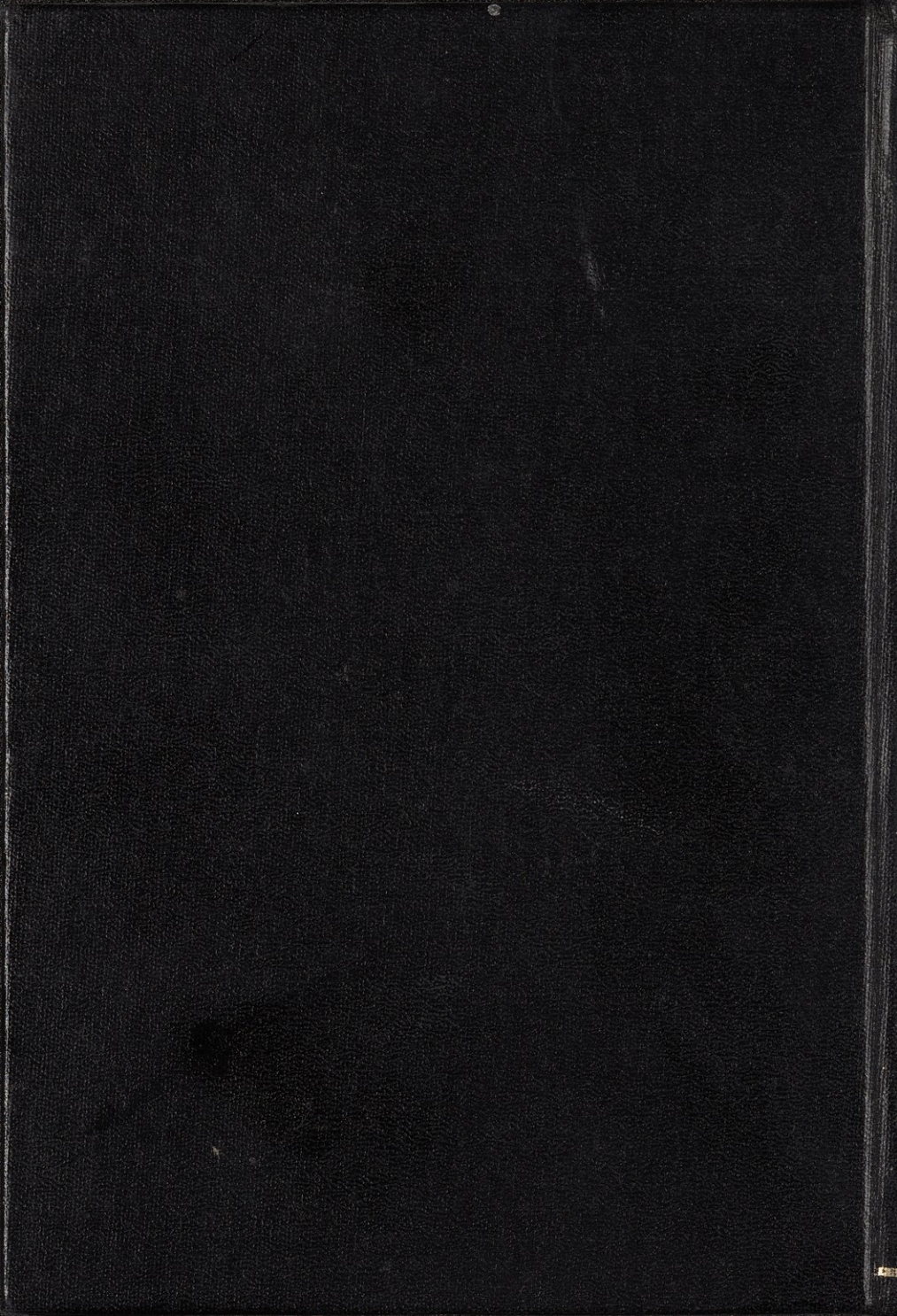




A. U. B. LIBRARY

نشوء الفقه وتطورها

المحاضرة التي القاها

الاستاذ محمود تيمور بك

في قاعة يورت بالجامعة الاميركية

يوم الجمعة ٢٠ مارس سنة ١٩٣٦

Cat. 9100. 1949

68810

المطبعة السلفية

أهم مصادر المحاضرة :

مقدمة الحضارات الأولى (لغوستاف لوبون)

✓ تاريخ أدبيات اللغة العربية (لزبدان)

✓ حديث الأربعةاء (للدكتور طه حسين)

✓ تاريخ الادب العربى (للزيات)

✓ المنتخب فى آداب العرب (لعطايا الدمشقى)

صحيفة الجامعة المصرية القديمة (للسكرى)

مختصر الادبيات (لدرنكوتر)

الموائد والاخلاق المصرية (للين)

تاريخ آداب العرب (لهيار)

✓ المعلومات العامة (لكاسل)

نشوء القصة وتطورها

سيداتي وسادتي :

أبدأ كلمتي بشكر الجامعة الأمريكية التي هيات لي هذه الفرصة السعيدة في الاجتماع بكم ، والتحدث اليكم . وقد اخترت أن أتكلم في نشوء القصة وتطورها . والموضوع متشعب النواحي ، لا يستطيع الانسان أن يوفيه حقه في حديث نحصر أن لا يكون مملاً أو طويلاً . لذلك رأيت أن أقدم لحضراتكم إلمامة في الموضوع ، أخشى أن تكون مخلة بالقصد .

وقد قسمت بحثي الى ثلاثة أقسام : الأول : نشوء القصة في العالم . ومظهرها في العصر القديم . والثاني : القصة في الأدب العربي القديم . والثالث : القصة المصرية في العهد الحديث

والآن أبدأ حديثي فأقول : نشوء القصة

كان الانسان الوحشي يعيش في عالم كله ألغاز .

وكان عقله بطبيعة الحال قاصراً عن إدراك كنهها .
 فالشمس التي كانت تشرق أمامه وتغرب في روعة
 وعظمة وفي نظام عجيب . وتلك الريح العاصفة التي
 كانت تثور ثورتها الهوجاء فتهدم أكواخه وتقتلع
 زرعه وتأتي على حيوانه . وهذه الجبال الشاهقة
 ذات القمم البركانية التي تفيض بالحم والنار ، وتزلزل
 بقوتها الخفية الدنيا وما عليها ، فتقتل وتحرق
 وتخرب في قسوة عمياء . كل هذا وما مثله وقف
 أمامه الانسان الأول وقفة الحيرة والرعب ، يتأمله
 طويلاً ويسعى جهده لفهمه . واهتدى أخيراً إلى
 حل قنع به واطمأن إليه • فمنح لعالم الجباد روحاً
 كروحه ، وتخيله على غرار نفسه ، يعيش كما يعيش :
 يأكل ويشرب وينام . كان يرى في الصخرة
 المنحدرة من قمة الجبل - التي خلعتها الزلازل من
 مكانها وأرسلتها كالقذيفة على كوخه فهدمته - آدمياً
 مثله يناصبه العناء ، ويستطيع أن يهلكه . رهب الريح

فحسبها روحاً جهنمية غير منظورة قادرة على أن
 تنكل به وبزرعه وثمره. وكان يرى في نومه أحلاماً
 غريبة عن أشخاص ماتوا. فتوهمهم أحياء مثله في عالم
 آخر. يعيشون وياً كلون ويتناسلون. فخشي من كان
 منهم قوياً مستبداً، وقدّم له القرايين، وأتى له بالأطعمة.
 وذبح له العبيد، ودفن معه النساء. كل ذلك تزلزلاً إليه
 وطلباً لرضاه. وهكذا رأينا خيال هذا الإنسان
 الأول يشتغل ويخترع، فيفرض الفروض، ويفسر
 معضلات الحياة. فكان هذا العمل هو أول خطوة
 خطاها في سبيل انشاء الأساطير، وما الأسطورة
 سوى قصة خرافية صاغها هذا الإنسان البدائي
 حسب ما أوحاه له خياله الضعيف.

وتطورت تلك الأساطير أو القصص الخرافية
 شيئاً فشيئاً، فأخذت تخرج من دائرتها، فعالجت سير
 الأبطال ووقائع الحروب. ولكن جو الخرافة
 كان دائماً يسيطر عليها، وبدأ الناس يسمعون

قصص الغول وصاحب اللحية الزرقاء وما شابههما -
وما ذلك الغول إلا رمز للحيوان المخيف الذي
ظل يفترس الانسان ويرعبه دهرًا طويلا ، وهل
كان صاحب اللحية الزرقاء - شارب الدماء السفاح -
إلا رمزاً لأمرأ الاقطاعات الذين كانوا يسومون
الأفراد أفضع أنواع العذاب ؟

وبالرغم مما حوته هذه القصص من السخافة
والعبث ، فقد عبرت عن نفسية العهد الذي كتبت
فيه . فهذه أمة مظلومة ترسف في أغلال الاستعباد
أرادت أن تفرّج كربها ، وتعبر عن آمالها ومطامعها ،
فاخترعت بطلا وهمياً نسجت من حياته قصة
النصر والمجد .

ولما كانت الحروب أكبر عامل من عوامل
تنازع البقاء وبقاء الأصلح . وكانت حوادثها بطبيعة
الحال تملأ فراغ حياة الأفراد والأمم القديمة -
جاءت بلاغتنا الأولى صفحة دامية مفعمة بالفضائع

والأهوال، ولكن وجدت بجانب ذلك بعض القصص التي تدعو الى السلام والمحبة. صاغها نفر من عباد الله الصالحين، هذا نفر الذي مجّ القتال وحياة الفزع والتشريد، وحنّ إلى حياة السكينة والطمانينة والرحمة.

وكان الانسان يعيش قديماً - قبل اختراع وسائل المواصلات - عيشة عزلة وانعكاف. المدن يفصل بعضها عن بعض تلك المسافات الشاسعة، والنظم الاجتماعية والسياسية تفرق بين طبقات الأمة الواحدة، ففي البلد الواحد تكاد تعيش كل طبقة بمعزل عن الأخرى. فالأشراف في معاقليهم، والعامة في أكوأخهم، لا يعرف أحدهم عن صاحبه إلا النزر القليل. وهكذا الحال بين الأمم، فما يجري في أحدها من حوادث لا يصل الى جارتها إلا بشق الأنفس. أضف الى ذلك أن وسائل التسلية كانت محدودة، فشأت بحكم الضرورة طائفة من الناس أخذت على

عائقها أن تسد تلك الثغرة ، فتقدم لأفراد الشعب
 وأمرائه كل ما يرغب في سماعه من حكايات وأخبار
 كانوا يصوغونها شعراً وينشدونها على نغمات
 الآلات الموسيقية ، ويلقونها ممثلين حوادثها تمثيلاً ،
 وذلك ليعظم وقعها في القلوب

• هؤلاء هم الشعراء الرحل ، أو الشعراء المرتزقة . كان
 الواحد منهم يجمع في نفسه شخصية الشاعر والقاصي
 والملحن والمغني والممثل ، ولا تغالي إذا قلنا والمهرج
 أيضاً . ولم يكن هم هذا الشاعر إلا إرضاء جمهوره على
 حساب الآخرين ، فهو إذا دخل قصر الأمير سرده له
 وقائع الأمراء في بطولة وشهامة وكرم نادر المثال ،
 وهو إذا ظهر في حلقة الشعب انبرى يروي له فضائح
 القصور ، وانهال على الأمراء يغمرهم بسخريته اللاذعة ،
 ويلصق بهم من العيوب ما يريد له هذا الشعب أن يلصق
 • وكنا نرى في مصر منذ عهد قريب هذا الصنف
 العجيب من الشعراء المهرجين ، كانوا يروون وقائع

أنى زيد والزنانى على الربابة فى قهوات سيدنا الحسين،
وبالأخص فى شهر رمضان. ولكن الفونوغراف ؟
أولاً ثم الراديو أخيراً أجهز عليهم ، فلم نعد نرى
لهم أثراً

• وكان هذا الفنان البدائى يأخذ الأغانى من أفواه
الحفاظ ، فيزيد عليها ، أو يحذف منها ، أو ينسج على
منوالها ؛ فهو لم يكن بالحافظ الأمين على هذا التراث
الأدى ، ولا هو أيضاً بالمبتكر . وعلى توالى الزمن
كانت تتجمع هذه الأغانى ، فيأخذها فنان عبقرى ،
وينظمها نظماً جديداً فى ملحمة قوية ، يتغنى فيها
بتاريخ أمته ، محدثاً الناس عن أبطالها ، راوياً لهم حوادثها
الرائعة . ومن ثم ظهرت الملاحم ، وهى كثيرة ، أشهرها
الإلياذة والأوديسة المنسوبتان لأبى الشعراء
هوميروس الأغريقى ، والأنيايد لشاعر الرومان
فرجيل .

• ويكاد يكون لكل أمة عريقة فى الحضارة ملاحم

من هذا الصنف . فللهند المهاباراتا ، وللفرس
الشاهنامه ، وللطليان كوميدية داتى الالهية .
وللفرنسيين أغانى رولان .

فالإلياذة هي قصة الحرب التى دامت عشرين
عاماً بين طروادة وممالك اليونان ، أثارها اختطاف
باريس أحد أمراء طروادة لهيلانه زوجة ملك
اسبارطة اليونانية . أتى فيها هوميروس بأوصاف
دقيقة خلابة عن الوقائع التى نشبت بين الفريقين ،
وما تخللها من بطولة وحب ووفاء وشهامة . كل ذلك
فى خيال واسع ، وشاعرية فياضة . والمعروف أن
الإلياذة ليست عمل فرد واحد ، بل هى مجموعة
قصص نظمت وجمعت بواسطة الشعراء الرحل ،
نخلتها الأذهان التى كانت تنقلها على ممر السنين ،
فخرجت حثالتها ومكثت زبدتها ، وجاء هوميروس ،
وكان من فئة هؤلاء الشعراء ، ولكنه امتاز عنهم
بعبقريته الفذة ، فتناولها بالصقل والتهذيب والانشاء

حتى أخرجها للناس درة من درر الأدب العالمي
 أما الأوديسة فهي متممة للألياذة ، ومنسوبة
 للمؤلف نفسه ، سرد فيها قصة يوليسيس ، وكيف
 ضل طريق البحر وهو عائد مع رجاله الى اليونان
 بعد حرب طروادة . وقد ذكر بعض النقاد أن هذه
 القصة ليست من عمل هوميروس ، لأنها تختلف في
 الأسلوب عن سابقتها الإلياذة . وأن الروح التي
 تسودها روح نسائية ، فبينما نرى الإلياذة قد
 أكرت من وصف المعارك الوحشية والمناظر
 القاسية ، نرى الأوديسة وقد تجلى فيها عراك المرأة
 وحيلتها ودهاؤها . واسلوبها عليه مسحة من الدين
 والمسالمة . ولكن بعضهم يقول ان الأوديسة من
 عمل هوميروس ، غير أنه لم ينظمها إلا في أخريات
 أيامه ، فجاءت صورة لذهن الشيخ الهادي الذي يعمل
 في هواة وروية . بعكس الإلياذة ، فقد كتبها وهو في
 ريعان الشباب والفتوة ، وذهن الشباب قوى جرى

لا يعرف اللين والرحمة ، فجاءت مفعمة بأهوال
الحروب وفضائع البطولة

والأنباد لشاعر الرومان فرجيل نحافها نحو
هومير وس ، وجعل لحواشيها صلة بالألياذة وقد
نظمها الشاعر تمجيداً لعائلة أغسطس قيصر امبراطور
الرومان في ذلك العهد . ومما يمتاز به هذه الملحمة عن
سواها أن الآلهة قد لعبت فيها دوراً أكثر خطورة
وأبعد أثراً مما لعبته في الملاحم الأخرى .

والمهابهاراتا الهندية ، والشاهنامة الفارسية
ملحمتان عظيمتان تحويان صفحات رائعة من تاريخ
ملوك كل من الأمتين .

أما كوميدية دانتى الإلهية ، فهي قصة حلم
خيالى للشاعر ، وصف فيه زيارته للجحيم والمطهر
والفردوس ، وما قابله فيها من أناس مشهورين
في التاريخ والأساطير ، روى قصصهم وذكّر
أسباب وجودهم في هذه الأماكن . والملحمة

ملأى بأوصاف رائعة لأنواع العذاب، وألوان
السعادة والهناء، في العالم الآخر. كل ذلك في أسلوب
أخاذ، ودقة فائقة في رسم الشخصيات، يكسو هذا نظم
ساحر وخيال فياض. وكان الشاعر يحب فتاة تسمى
« بياتريس » حباً لم نسمع بما يماثله في قوته وغرابته،
فقد بدأ حبه لها وهي طفلة في التاسعة من عمرها،
وقيل إنه لم يرها إلا مرات قليلة، وأنها جهلت حبه
وقد تزوجت بياتريس ثم ماتت، فكان لهذه
الفاجعة الأليمة أثرها في نفس الشاعر، فكتب ملحمته
تمجيداً لها، فخلد بذلك اسمها على مر الأجيال. ولا
يفوتنا أن نذكر في هذا المقام التشابه في الفكرة
والموضوع بين كوميدية دانتى ورسالة الغفران
للمعري. ولا يبعد أن يكون الشاعر الإيطالي قد تأثر
من بعض النواحي برسالة المعري، فقد ازداد اتصال
الغرب بالشرق على أثر الحروب الصليبية التي بدأت
عام ١٠٩٩ ووفاة دانتى كانت عام ١٣٢١ م

أما أغاني رولان الفرنسية فهي قصة الحرب التي كانت ناشبة بين العرب والفرنسيين أيام فتح الأندلس. وبطلها رولان بطل خرافي من جنود شارلمان.

هذا شأن الملاحم. أما القصص النثرية الكبرى فذكر منها اثنتين، الأولى: دون كيخوتي لسرفانتى الأسباني (وفاته عام ١٦١٦ م) والديكاميرون أو الأيام العشرة لبوكاتشيوا الإيطالي (توفي عام ١٣٧٤ م). أما الأولى فهي تهكم مر بابطال الفروسية، ولكنها في الوقت نفسه قصة إنسانية عالمية، تصف وصفاً أخاذاً هذه الشخصية المريضة المحببة، شخصية الرجل الذي يعيش في عالم من وحي خياله، يطلب العظمة والمجد، ويبت في الأمور من فوره لا يطلب تسويفاً ولا تأخيراً. وقد وضع بعض النقاد شخصية دون كيخوتي مع شخصية هملت لشا كسير في مستوى واحد. وإن كانت

كل من الشخصيتين على نقيض الاخرى . فهملت
 ذلك الأمير البارد الطبع المتردد المثلث بأحمال النار ،
 لا يخطو خطوة إلا بعد تفكير ممض وحساب معقد ،
 وربما رفع قدمه ثم أعادها حيث كانت . وقد قيل ان
 العالم يتكون من شخصيتين : هملت ودون كيخوتي ،
 كلاهما مريضان ، الأول يمثل التردد والخوف ،
 والثاني يمثل الاقدام والتهور . فالعالم إذن وفق هذه
 النظرية مكون من مرضى - مرضى العقول ، أى
 مجانين ، وليس هذا غريباً ، فقد قال الشاعر العربي :
 | وكلّ الناس مجنون ولكن

على قدر الهوى اختلف الجنون

• أما الديكاميرون لبوكاتشيرو ، فهي مجموعة من
 القصص الانتقادية اللاذعة ، كشف فيها صاحبها
 الستار عن فضائح عصره ، وأتى في بعضها بأوصاف
 منافية للآداب . وقد تفوق في أسلوبها على جميع
 كتاب عصره ، واشتهر أمر هذا الكتاب شهرة

كبيرة، حتى قيل انه كان مصدر الهام لكثير من
الكتاب أمثال شاكسبير وجوتا وشوسر ولسنغ
وكان ماركو بولو (الذى توفي سنة ١٣٢٤ م)
قد رحل قبل ذلك الى آسيا، ومكث في بلاط
كوبلاخان امبراطور المغول عشرين عاماً عاد بعدها
الى وطنه محملاً بكنوز الشرق، وأخذ يروى لأهل
وطنه البندقية رحلته العجيبة في تلك البلاد النائية
التي لم يكن يعرف عنها الناس شيئاً مذكوراً في ذلك
الوقت. وكانت هذه الرحلة خليطاً من الحقيقة
والخيال، تفنن في روايتها صاحبها تفناً جعل لها
سحراً وتأثيراً على النفوس، فأخذ المؤلفون يحذون
حذوها في كتابة قصصهم. ومن ثم انتشر هذا النوع
الجديد المليء بالآثار والمخوط بالغرائب والأسرار
وكان العالم قد سار في طريق الاكتشافات
فظهر كوليبريس وفاسكودي غاما وماجلان وغيرهم
من مشاهير المكتشفين الذين خاطروا بأرواحهم في

سبيل تحقيق فكرتهم . وقامت الدول تتنافس في
 البحر بأساطيلها وعلى رأسها المكتشفون
 والمستعمرون يسعون في الحصول على الثروة من
 طريق التجارة أولاً ثم الاستعمار ثانياً ^لفقويت روح
 المخاطرة بين الناس ، ورأينا أثر ذلك كله في أدب
 العصر . فقرأ الناس روبرنسون كروزو ولدانيل ديفو
 كتبها مؤلفها على أساس قصة واقعية لبحار يدعى
 سنكلرك ، قضى أربع سنوات وحيداً في جزيرة جوان
 فرناندز ^وكتب سويفت رحلات جلوفر الى بلاد
 الأقزام والى بلاد العمالقة . وهذان الكتابان أصدق
 صورة للعصر الذى كتب فيه . وكيف كانت أخطار
 البحار واكتشاف البلاد المجهولة تشغل عقول
 الناس وتؤثر في نفوسهم

^وولما انتهت الحروب الصليبية ، كان الاتصال بين
 الغرب والشرق قد قوى واشتد ، وظهرت له نتائج
 بعيدة الخطر ، منها ما هو مادي اقتصادي ، ومنها ما

هو عقلي أدبي . وقد ذكرنا في موضع سابق احتمال
تأثر داتني في كوميديته الالهية برسالة الغفران
للعري ^{التي هي من القصص}

والآن وقد تحدثنا في ايجاز عن نشوء القصة
والقصص الغربي في الأدب القديم ، نريد أن
نعرض أمامكم صورة للقصص العربي .

أول ما يصادم الباحث في الأدب العربي هو
تفاهة القصة ، وقلة ما كتب فيها ، وعدم عناية
العربي بها ، ولهذا أسباب سنسبها في حينها .

والقصة في البلاغة العربية قسمان : قسم

موضوع ، وقسم منقول ، أو بعبارة أخرى قصص

مؤلفة ، وقصص مترجمة . ومن النوع الأول :

قصص عنزة ، والأميرة ذات الهمة ، ومجنون ليلي ،

وسيرة بني هلال وما ماثلها ، ومن النوع الثاني :

كتاب كيلة ودمنة ، وألف ليلة . ومعظم القصص

الموضوعة لها أصل تاريخي ، فأشخاصها أبطال

حرب أو حب حقيقيون . وحوادثها الرئيسية التي
بنيت عليها حوادث وقعت في التاريخ ، ولكنها
تغيرت بمرور الزمن عندما تناقلتها الألسن بالرواية .

فكان الراوى يتناول القصة من مصدرها ويرويها
للناس حسب هواه ، فكان راوياً ومؤلفاً في الوقت
نفسه ، ومعظم هذه القصص مجهولة المؤلف . أما
التي تحمل اسم مؤلف معين فانتسابها اليه كاتساب
بعض الملاحم القديمة لأصحابها . فالمؤلف لم يكن
سوى جامع لأخبار هذه القصة وراوياً بعد تنقيح
وتعديل ، وكثيراً ما كانت تنسب هذه القصص
لرواة مشهورين أمثال الأصمعي ، ترويحاً لها
وإعلاء لقيمتها ، والأصمعي وغيره برىء منها

ومعظم القصص العربية الموضوعة عديمة القيمة
لغة وموضوعاً وتأليفاً ، فقد وضعت للتسلية فحسب ،
وكتبت بأسلوب مهمل يرضى العامة قبل الخاصة ، فقد
دعت الحالة السياسية في كثير من الأحيان - وخصوصاً

في الأزمنة المتأخرة - إلى أن يفكر الأمير أو السلطان
 في شيء يلهم به شعبه، ويحوله عن عمل يريد القيام به،
 أو أمر يريد إخفائه، ويخشى انتقاد الشعب له. فيكاف
 أحد الكتاب تأليف قصة مسلية ذات حوادث
 غريبة، فيؤلفها، أو بالأحرى يجمعها من مختلف
 الأفواه أو الكتب، ويصوغها صوغاً جديداً بعد
 تهذيب وصقل يناسب المقام، ثم يعرضها على الجمهور
 لتسرق من وقته وتحول من تفكيره. فيخلو الجو
 للأمير. كما حدث ذلك عند ما أمر الخليفة العزيز بالله
 الفاطمي الشيخ يوسف بن إسماعيل بأن يضع للناس
 قصة يلهم بها عن التحدث بريبة حدثت في بيت
 الخلافة كانوا قد لغطوا بها كثيراً، فجمع الرجل
 أخبار عنتره، وصاغها في قالب قصصي، ثم نسخها
 وجعل ينشرها على الناس أجزاء صغيرة، فأفلح
 في مهمته

وعلى الرغم مما في هذه القصص من ضعف

التأليف، وخاط الحوادث، ورعاية الأسلوب، فقد
 نجحت الى حد ما في تصوير المجتمع العربي في العصر
 الجاهلي والاسلامي - المتقدم والمتأخر - ولو كان
 مؤلفو هذه القصص قد أجادوا تأليفها وصياغتها،
 وعنوا بتهديبها لتكون أقرب الى الفن الصحيح مما
 هي عليه الآن، ثم جمعت بعد ذلك في سفر واحد،
 لكان هذا السفر للآداب العربية بمثابة الإلياذة +
 أما القصص المنقولة، فمنها ما نقل من الأصل
 في أمانة، ككيلة ودمنة. ومنها ما لحقه التغيير - اما
 بالاضافة أو الحذف والصقل والتهديب حتى كاد
 يصبح غريباً عن أصله - كألف ليلة وليلة
 والآن نريد أن نتحدث عن الأسباب التي
 دعت العرب لإهمال القصة، وقد لخصناها في
 النقاط الآتية:

أولاً: قلة الأساطير. ويعود ذلك الى تأثير
 البيئة والأقليم في عقلية العربي

فلا يخفى أن للأقليم تأثيراً قوياً على من ينشأ
ويعيش فيه . فصاحب البلاد الجبلية ذات الغابات
المخيفة ، والكهوف الرهيبة ، والأنهار العظيمة ، وما
تحويه من وحوش وجوارح ؛ يختلف مزاجه عن
ساكن السهول المنبسطة ، حيث المعيشة هادئة والنفس
مستريحة . والمرء الذي ينشأ في ذلك الجو القاسي
بزمهريره وثلوج وجهه ورياحه ورعده وصواعقه ، يختلف
اختلافاً بيناً عن ذلك الذي يعيش في جو سماؤه صافية
وشمس مشرقة . فالإنسان ابن بيئته . فلا غرابة إذا
إذا وجدنا العربي غير عميق في تخيله ، وهو الذي
استوطن الصحراء المجربة ، وعاش عيشة بدوية
لا يعرف له مسكناً إلا بيوتاً من الشعر ، ثروته ناقته
أو عنزته ، دائم الارتحال يسعى وراء المرعى ، قنوع
بالقليل ، لا تكتنفه غير الرمال الشاسعة . فلذلك نشأ
قليل الأساطير . ومن ثم نشأ قليل القصص ، لا اتصال
الثانية بالأولى كما أسلفنا القول . وإذا كانت العبادات

الأولى هي من نتاج الأساطير ، فهمنا كيف كانت
ديانة العرب الأولى تافهة سطحية ، باللغة غاية السذاجة .
فقد قيل انهم احتاجوا الى إله يعبدونه . فعثروا في
الشام على الصنم « هبل » فأخذوه وألوهوه . ومن
أغرب ما يروى عن آلهة الجاهلية أن العربي كان
يصنع إلهه من العجوة ، فاذا جاع أكاه . فهل سمعنا بالله
يتمن هذه المهانة ، لولا أنه قليل المهابة في قلوب عباده ؟

و على عكس ذلك نجد التخیل عند الهندي قويا ،
وهو الذي عاش في بيئة رهيبة ، أنتجت له أساطير
رائعة ، وديانات ذات فلسفة عميقة ، وآلهة جبارة
بمعابد فخمة عظيمة

ثانيا - اعتزاز العربي بآدابه

ان العرب كانوا يعتزون بآدابهم ، ويفاخرون بها ،
معتقدين أنها متفوقة على باقي الآداب الاخرى . فلم
يعتوا بدرس تلك الآداب ، ولم يترجموا غير القليل
منها ، بل انهم وجهوا اهتمامهم إلى ترجمة الكتب

العلمية والفلسفية من اليونانية والفارسية

وليس اعتزازهم بآدابهم وحده هو الذى منعهم
من ترجمة روائع الكتب الأدبية من الادب الفارسي
واليوناني ، بل لأنهم وجدوا هذه الآداب تزخر
بالأساطير ، أساطير الآلهة ، فلم يقربوها خشية أن
يكون لها تأثير سيء على عقائد الناس لا كذلك أهملوا
كثيراً من الفنون الجميلة ، إذ وجدوا فيها ما يذكركم
بأصنام الجاهلية التى عمل الاسلام على محوها . ومن
ثم لم نجد للتمثيل والتصوير والنحت أثراً يذكركم فى
الفنون والآداب العربية . أما الموسيقى ، وهو الفن
الذى لم يكن يخشى منه على العقيدة الدينية ، فقد رأينا
يتبوأ مكانة عالية أثناء ازدهار المدنية الاسلامية .
فبعد أن كان فى الجاهلية نوعاً من أنواع الحداء ، رأينا
فى الدولة العباسية فناً قائماً بذاته مصبوغاً بالصبغة
العربية ، له أصول مقررة ومذاهب متعددة . فضلاً عن
آلات الطرب العديدة التى برع فى استعمالها المغنون ؛

وجلبها - إن لم يكن كلها - مأخوذة عن الفرس. وحسبك
 أن تعرف أن كتاباً كبيراً من أعظم كتب الأدب
 العربي ألفه صاحبه عن «الأغاني» ذكر فيه الشعر
 الذي كان مادة للغناء، وضبط الألحان التي كان يغني
 بها هذا الشعر. ولكن ظلت الموسيقى العربية بالرغم
 من ذلك كله بسيطة ساذجة كالنفس العربية لا تعبر
 عن مختلف خواج النفس الانسانية. وهذه
 السذاجة ظاهرة طبيعية نلصقها في جميع الفنون الجميلة
 العربية. يدلنا على ذلك فن العمارة الاسلامية، فقد
 استمد اصوله أولاً من الفنين البيزنطي والفارسي،
 واستطاع فيما بعد أن يستقل بنفسه، ويوجد له
 طابعاً خاصاً به، ولكنه ظل فناً بسيطاً قوامه
 الزخرفة الهندسية

والآن نريد أن نتحدث عن أشهر القصص
 العربية. ولنبدأ بالقصص الغرامية في عصر بني أمية ١
 تعتبر هذه القصص أحد أركان الفن القصصي

العربى . وهى - بالرغم مما فيها من خلط فى التاريخ ،
ومغالاة فى الوصف ، ونقص فى التأليف - تحتوى
على شئ من مقومات القصة الفنية

وأهم هذه القصص ثلاث : مجنون ليل . وجميل بثينة ،
وقيس لبنى . وأبطالها مذكورون فى التاريخ ، ولكن
منهم من اختلف فيه كالمجنون (قيس بن الملوّح) فقد
اختلف المؤرخون فى شخصيته اختلافا كبيرا يدعونا
إلى الشك فى وجوده . أما جميل بن معمر - جميل
بثينة - وقيس بن ذريح - قيس لبنى - فليس هناك ما
يدعو الى الشك فى وجودهما وان كنا نكر شخصيتيهما
على المثل الذى رسمه لنا المؤلفون . ويلاحظ أن هذه
القصص الثلاث قد اشتقت من ينبوع واحد هو
ينبوع البادية ، وعالجت موضوعا واحدا هو الحب
الغدى ، فبطلها دائما بدوى يعيش عيشة الفطرة ،
ويتحلى بصفات كريمة منها الكرم والشمم والعفة
والشهامة . وكل هذه الصفات موطنها البادية . أما حبه

فحب عفيف طاهر ، ملك حياته وعقله ، مخوف
 بالمصاعب والتضحيات ، وتكاد تشترك القصص
 الثلاث في الحوادث نفسها التي بنيت عليها القصة ،
 فهناك حب مبرح بين اثنين ، ثم ظروف قاهرة تحتم
 عليهما الفارقة ، ثم موت كموت الشهداء . ولكن هناك
 بعض الاختلاف في التفاصيل ، وخصوصا في قصة
 قيس لبني التي يمكننا أن نعتبرها أقرب القصص
 الثلاث الى الفن الصحيح ، فقد عالج فيها مؤلفها أو
 مؤلفوها موضوع الغيرة ، غيرة الأم من زوج ابنتها
 أما ظهور هذه القصص في عصر واحد ، وعلى
 النمط الذي ذكرناه آنفا ، فيعود إلى ما يأتي :

ينقسم سكان الحجاز الى قسمين : قسم يسكن
 البادية ، وقسم يسكن الحضر . وقد نافس الحجازيون
 أمراء بني أمية وحاربوهم ، وكادوا يقوضون ملكهم ،
 ولكن شاءت الأقدار أن يستتب الأمر في النهاية
 لمعاوية وخلفائه ، فعاد أهل الحجاز الى موطنهم ،

واستقروا فيه ، واعتزلوا - مضطرين - حياة الكفاح
والسياسة . فمن كان منهم من أهل البادية ، عاش عيشة
السداجة والفقر ، ولكن قلبه كان عامرا بالايان
الصحيح ، ومتى اجتمع الفقر والايان والفراغ نشأ
الزهد والتصوف . فرأينا موجة الصوفية تعم بادية
الحجاز . وأخذ الشعراء منهم يعبرون عن احساسهم
بأشعار غزلية كلها مثل عليا في الطهر والعفاف
والتضحية . وأخذت تحاك حول هذا الشعر أنواع
من القصص أبطالها مزيج من الحقيقة والخيال ،
ومن ثم ظهرت قصة المجنون وما ماثلها

ولا يمكننا أن نغفل بجانب هذا النوع من
قصص الحب العذرى نوعاً آخر - ولكنه أقل
أهمية من سابقه - هو قصص الحب الخليع ، وإمام
هذا الفرع عمر بن أبي ربيعة الشاعر ، مبدع الأدب
المكشوف في ذلك العصر . والسبب في ظهوره
يعود الى حياة الترف والغنى مجتمعة مع حياة البطالة

الاضطرابية التي كان يحياها أهل الحضر من زعماء
 الحجازيين وأمرائهم . وكان الأمويون في ذلك
 يتبعون مع هؤلاء الزعماء سياسة المال، فكانوا يغدقون
 عليهم العطايا، ويقررون لهم المرتبات الضخمة،
 ولكنهم كانوا بجانب ذلك يحرمون عليهم الاشتغال
 بالسياسة، ويبعدونهم عن مناصب الدولة . وكانت
 السبايا من الفارسيات والروميات والتركيات وما
 ماثلهن، قد ملأن بيوت هؤلاء الأمراء الحضريين
 من سكان الحجاز على أثر الفتوحات العظيمة التي
 تمت في سرعة تدعو إلى الدهول، فانتقل مع هؤلاء
 السبايا - وكان معظمهن من البيوتات الكبيرة -
 الشيء الكثير من مدينة الأمم المحكومة، فاجتمع
 عند أهل الحضر من الحجازيين الثراء والترف
 والمرأة مع البطالة الاضطرابية، فنتج عن ذلك
 الاسراف في اللهو، ومن ثم جاء الأدب المكشوف
 صورة لهذه البيئة الجديدة

ننتقل من ذلك الى نوع آخر من الأدب القصصى، يسمى قصص الحرب والبطولة، أو قصص العوام. ومنها عنبرة، والزير سالم، وبنى هلال، والبطال (القصة المعروفة بالأميرة ذات الهمة) والبراق التى منها حرب البسوس، وسيف بن دى يزن وفيروز شاه، وما ماثلا

وقد سميت بقصص الحرب والبطولة، لأنها تروى لنا بعض وقائع الحرب فى العهد الجاهلى وما يليه، وتحدث لنا عن شخصيات اشتهرت بالبطولة فى الحروب كعنبرة. أما تسميتها بقصص العوام فلأنها اشتهرت بين العامة أكثر من انتشارها بين الخاصة. أو بالأحرى لأنها كتبت للعامة

وهى قصص تعتمد فى هيكلها على حوادث التاريخ، ولكنها مشحونة بالأغلاط التاريخية التى لا يقبلها العقل السليم. أما نشأة هذه القصص فهى نشأة طبيعية بحثة، فإن الناس فى كل أمة يحبون البطولة والحرب،

يروون وقائعها مفتخرين بما حازوه من نصر فيها،
مجددين أبطالها. وكانت حياة العربي حياة نزاع
وحرب، فقبائله دائماً في شجار، وأخبار بطولته
يزخر بها تاريخه. ومن ثم أخذ الرواة يروون للناس
هذه الحوادث التاريخية، ثم يضيفون إليها من
عندهم ما أرادوا. وأخذت القصص تحاك حول
هذه الأخبار شيئاً فشيئاً، إلى أن انتهت إلى الحالة
التي هي عليها الآن

وأشهر هذه القصص عنترة، وقد عني بها
الافرنج فصاغ منها أحدهم رواية قصصية بالفرنسية،
وهي طبعاً غير الرواية التمثيلية التي ألفها نظام بالفرنسية
الأديب السوري شكري غانم، ومثلت على المسارح
الفرنسية. ونالت صيتاً بعيداً

وقصة عنترة العريية أرفى من أخواتها لغة
وشعراً. تصور حياة العربي في العهد الجاهلي، وتروي
لنا شيئاً من حروبه وما امتاز فيها من أبطال، وتصف

لنا شجاعته وكرمه وحبه ووفاءه وتضحيته . والقصة
 من الوجهة التاريخية غير موثوق بها ، ففيها كثير من
 الخلط والغلط ، وهي فوق ذلك مفككة الحوادث ،
 لا رابطة تربط بعضها ببعض . ولكن نرى فيها
 بجانب ذلك بعض مواقف روائية رائعة ، منها
 الموقف الذي يموت فيه عنزة بسهم مسموم .
 فعندما يشعر بدنو منيته ، ويخشى على جيشه الهزيمة ،
 يسرع الى جواده فيمتطيه ، ويعتمد على رمح ، ثم
 يموت . ويراه العدو من بعيد وهو ممتط فرسه معتمد
 على رمح . فيظنه حياً يدير رحي القتال ، فيرهبه
 ولا يجسر على الدنو منه

والآن ننقل الى قسم آخر من القصص
 الموضوعية ، ونسميه بالقصص العلمية والفلسفية .
 وهو ليس قصصاً بالمعنى المعروف ، لأن النزعة العلمية
 تسوده . فالغرض الذي رمى اليه المؤلف في كتابة هذه
 القصص هو عرض فكرته الفلسفية أو نظريته

العلمية . ومن ثم كانت الصياغة القصصية في المرتبة الثانية . وجميع هذه الكتب ألفت بلغة سليمة ، فمؤلفوها من العلماء ، وقد كتبوها للخامسة من الناس . وأشهر هذه القصص : قصة حي بن يقظان ، والانسان والحيوان ، والصالح والباغ ، ورسالة الغفران ، والمقامات . +

حي بن يقظان - وهو لابن طفيل - أظهر فيه مؤلفه شخصية عجيبة هي أقرب الشخصيات الى (طرزان) فهو ابن الغابة وريبتها . عاش على الفطرة ، وأخذ العلم من الطبيعة . والطريف في هذه القصة تلك النظريات العلمية التي وفق حي بن يقظان الى اكتشافها في التشریح وغيره . ولا يستبعد أن يكون ديفو مؤلف روبنسون كروزو قد تأثر بفكرة مؤلفنا العربي ، فنسج على طريقته في وصف الحياة الفطرية .

أما كتاب الانسان والحيوان فقد ألفه

(اخوان الصفا) فى القرن الرابع عشر الهجرى ،
 وجعلوه ذيلًا لرسائلهم المشهورة ، وهو يحوى
 مناظرات بين الحيوان والانسان ، وقد حذا فيه
 مؤلفوه حذو كلية ودمنة فى وضع الحكمة على السنة
 الحيوان ، ولكنهم لم يقتصروا على الحكمة ، بل
 خاضوا فى العلوم الطبيعية ، وتكلموا عن مميزات
 الانسان والحيوان . والكتاب يمتاز بتلك
 الصبغة العلمية الواضحة ، تلك الصبغة التى اشتهر بها
 الاخوان فى رسائلهم

أما كتاب الصادح والباغم فهو يماثل قصص
 لافوتتين الفرنسى ، وقد قال عنه صاحب كشف
 الظنون (انه منظومة على أسلوب كلية ودمنة فى
 ألفى بيت لابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٤ هجرية
 فيه قصائد وأراجيز) والظاهر أن كتاب
 كلية ودمنة قد ترك أثراً بعيد المدى فى الأدب
 العربى ، فقد نقله كتاب كثيرون غير ابن المقفع .

ونظمه عدة شعراء من بينهم ابن الهبارية نفسه في
 كتاب سماه نتائج الفطنة في كتاب كلية ودمنة . ثم
 نحانحوه في كتابه الذي نحن الآن بصددده . وقد
 رأينا كيف أن اخوان الصفا قد ألفوا كتابهم الانسان
 والحيوان متأثرين بكليلة ودمنة . ثم جاء ابن
 عرب شاه المتوفى سنة ٩٠١ هجرية فألف كتابه
 فاكهة الخلفاء ، نحافيه أيضا نحو كلية ودمنة في كثير
 من قصصه . نذكر ذلك لنبين الى أى حد تأثرت
 قصصنا العربية الموضوعة التي عنيت بالحكمة
 والفلسفة والعلم بكتاب كلية ودمنة ، وهو من
 الكتب المنقولة عن الأدب الهندي . ✕ ✕
 والآن نريد أن نتحدث عن المقامات :

حينما اتسعت المملكة الاسلامية على أثر
 الفتوحات ، ودخلت في الأمة العربية أجناس مختلفة ،
 أخذ الدخيل من الكلمات والاصطلاحات يغير على
 اللغة الفصحى ، نحاف جماعة اللغويين والنحاة أن

يُصيب اللغة الوهن والفساد. فقاموا يَنْبُهون الناس
إلى الخطأ ويرشدونهم إلى الصواب، وبدأ الكتاب
يُحسّن بضعفهم أمام هجمات اللغات العامية، فحرصوا
جهدهم أن يكتبوا صحيحاً، واندفعوا ينتقون الكلمات
انتقاءً، ويتخيرون الأساليب تحيراً. وتماذوا في ذلك
كثيراً، وقامت المنافسة بينهم، كل كاتب يريد أن
يتفوق على زميله في الانشاء، فاهتموا بالعرض
دون الجوهر. ومن هنا شاعت المحسنات اللفظية،
وظهرت قواعد جديدة في البلاغة تعتمد على
التزويق والبرقشة أكثر من اعتمادها على الفكرة.
وغالى الكتاب في السجع، حتى أصبح كل ما يكتبونه
مسجوعاً. وتعشقوا الألفاظ المهجورة والأساليب
الغريبة، ليؤثروا بها على القراء، ويظهروا لهم مبالغ
تضلعهم في اللغة. في ذلك الجو نشأت المقامات، وهي
شبه أقاصيص يتخذ لها المؤلف بطلاً وهمياً يروي
على لسانه ما شاهده من حوادث وما سمعه من أخبار.

والمقامة ليس لها أى قيمة قصصية، وإن كانت وضعت
 فى قالب القصصى، لأنها خلت من أهم مميزات القصة
 وهو الحادثة أو العقدة. كذلك خلت من الشخصيات
 الروائية الممتازة. وتحليل نفسياتها، ودرس أخلاقها.
 والغرض الذى رعى إليه مؤلف المقامة هو عرض
 الموعدة أو النكتة المستملحة والألغاز اللغوية
 والنحوية، كل ذلك فى لغة ألفاظها جزلة غريبة،
 وأسلوب طه مسجع، وقد نشأ هذا الفن الجديد من
 اتصال العرب بالفرس، وتأثرهم بحضارتهم التى
 شملت فيما شملته الآداب. وأول من برع فى كتابة
 المقامات بديع الزمان الهمداني (المتوفى عام ٣٩٨ هـ)
 ثم اشتهر بعده الحريري (المتوفى سنة ٥١٦ هـ)
 ثم الزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨ هـ). وانتشر
 هذا النوع انتشاراً كبيراً حتى كان لكتابنا
 العصريين أثر كبير فيه. فقد كتب الشيخ ناصيف
 اليازجى (المتوفى عام ١٨٧١ م) كتابه مجمع البحرين،

وهو مجموعة مقامات على نسق مقامات الحريري
والهمداني. وكتب أحمد فارس الشدياق كتابه
الفارياق وهو متأثر بجو المقامة تأثراً عظيماً. وظهر
في العصر المتأخر كتاباً عيسى بن هشام لمحمد المويلحي
وليا إلى سطوح لحافظ إبراهيم، وهما على نمط المقامات،
ولكن الأول تفوق على سواه من الكتب المقامية، إذ
خرج فيه عن جو المقامة واقترب من القصة الفنية
بما عالج فيه من شخصيات وأوصاف وحوادث.
أما رسالة الغفران للمعري، فلا يبعد أن يكون
مؤلفها قد كتبها متأثراً بجو المقامة. فقد توفي المعري
سنة ٤٤٩ هـ أي بعد وفاة الهمداني بأحدى وخمسين
سنة. ورسالة الغفران تفضل المقامات بمميزات
عدة، ولعل ذلك عائد إلى أن المقامة قد تمكنت من
فكر المعري واستقرت فيه، ولكنه تمثلها وأخرجها
صورة أخرى حية ناضجة. وفي الرسالة كثير من
السجع، والأشعار العويصة المعاني الغريبة الألفاظ،

وفيها نقد لشعراء الجاهلية والاسلام وأدبائهما وفيها
ذكر للرواة والنحاة ، وفيها أيضاً تصوير للمجتمع
العربي في مختلف عصوره . والشئ الكثير من
هذا هو من موضوعات المقامة ، ولكن المعري
عالجها في طريقة مبتكرة . أما ما امتاز به في رسالته
وتفوق به على المقامة تفوقاً محسوساً ، فذلك هو خياله
الخصب الواسع من جهة ، وسخريته اللاذعة الخفية
من جهة أخرى . فأى خيال أكبر من ذلك الذى
يصور لنا الجحيم والجنة وما فيهما من عذاب ونعيم
تصويراً رائعاً يملك على القارىء له . أما سخريته في
هذه الرسالة فقريبة الشبه بسخرية أناتول فرانس
القصصى الفرنسى الشهير ، فكلاهما تهكم لا ذع لا يشعر
به إلا من قرأ ما بين السطور . ورسالة الغفران
قصة تخيل فيها المعري ذهاب رجل الى الجنة ورؤيته
لجهم ، وما شاهده فيهما من شعراء وأدباء ، وما جرى
بينه وبينهم من محاورات فى الأدب والشعر واللغة ،

وما قابله في الجنة من أناس لم يكن ينتظر نزولهم بها ،
فسألهم : بم غفر الله لهم ؟ فذكروا له فيما ذكروا أشعاراً
قالوها فغفر الله لهم من أجلها ، وكانت جوازهم إلى
دار النعم ، لذلك سميت رسالة الغفران . وقد ذكرنا
قبلاً تماثل الفكرة بين رسالة المعري و كوميديّة داتّي
الالهية ، واحتمال تأثر الأخيرة بالأولى ، كذلك يوجد
تشابه بين موضوع المعري وقصيدة ملّتن الشاعر
الانجليزي ، المسماة « بالفردوس المفقود » . وهذه
المناسبة نذكر أنه على أثر ازدياد صلة الغرب بالشرق
تأثر الأدب الغربي بأدب العرب ، وخصوصاً بكتّابي
ألف ليلة و ليلة و دمنه . فأقاصيص هانس اندرسن
الدنمركي . ورحلات جلفر لسويقت الانجليزي ،
وسياحات جيل بلاس للوساج الفرنسي ، وكتاب
الغابة لروديارد كبلنغ ، كلها تحمل شيئاً من روح
القصة العربية

والآن وقد انتهينا من القصص العربية

الموضوعة سنتحدث عن القصص العربية المترجمة -

وأهمها اثنتان : ألف ليلة ، وكنيلة ودمنة ×

أما كتاب ألف ليلة فيحتوى على ثلاث مجموعات

مختلفة : المجموعة الأولى : كتاب ألف خرافة الفارسي

المسمى (هزار أفسانه) ، وهو مجموعة قصص خرافية

فارسية وهندية . وهذه المجموعة لحقها كثير من

التغيير على يد النقلة والرواة ؛ فخرجت عن أصلها .

والمجموعة الثانية : قصص كتبها على نمط القصص

السابقة مؤلفون من العرب ، بعضهم من بغداد

والآخرون من مصر . وقد اشترك بعض اليهود في

تأليف هذه المجموعة . والمجموعة الثالثة : ما جمعه

أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى صاحب

كتاب الوزراء والكتاب ، من حكايات ونوادير

للعرب والفرس والروم كانت تروى في حفلات

السمر والمنادمة .

هذه المجموعات الثلاث قد انصهرت في

بوتقة الزمن. وعلى يد النقلة والرواة ، حتى
 وصلت إلينا في كتاب واحد يكاد يكون له طابع
 واحد ، هو كتاب ألف ليلة . ولكن الناقد الخبير ،
 والباحث المدقق ، والمحلل اليقظ ، يستطيع أن يرجع
 كل قصة في الكتاب إلى أصلها . ولدينا وسيلتان
 تعيناننا في هذا العمل . هما : الأسلوب ، والخيال .
 فالقصص ذات الأسلوب العربي الفصيح تدلنا على
 أنها كتبت في العصر الأول . حينما كانت اللغة خالية
 من شوائب العجمة . والقصص ذات الأسلوب
 الركيك ، تدلنا على العصر الذي كتبت فيه بعد ،
 فهناك الخيال الفارسي ، والخيال اليهودي ، والخيال
 العربي الصميم ، وهلم جرا . ويلاحظ أن القصص
 الإسلامية الصرفة خالية من الخرافة . وهذا يؤيد
 النظرية التي أوردناها في أول حديثنا ، وهي أن
 الأمة العربية لم تكن أمة أساطير
 والكتاب من الناحية القصصية يعتبر من

كتب القصص العالمية . وقد ترجم الى معظم اللغات
الحية . وهو فخر الأدب القصصى العربى بلا مراء ،
وأكثر قصصه مفعمة بالاخطار والأسرار ، مملوءة
بالمشوقات ، لا يشعر القارىء لها بملل . وشهرتها العالمية
تعود الى عاملين هامين ؛ هما : سعة الخيال وقوته ،
وبراعة الوصف فى رسم الشخصيات والبيئة . فنحن
نشعر ونحن نقرأها أننا نعيش حقاً فى تلك البيئة
الشرقية الاسلامية ذات السحر العجيب ، نعاشر
اهلها ونستمتع بأحلامها .

× أما كتاب كيلة ودمنة ، فقد ترجمه عن

الفارسية الكاتب البليغ عبد الله بن المقفع فى أسلوب
من أبلغ الأساليب ، والكتاب أصله هندى وضعه
بيدبافيلسوف رغبة منه فى اصلاح الملك دبشليم
العاهل المستبد ، وجعل أقاصيصه على ألسنة الطيور
والحيوان ، لاعتقاد البراهمة القديم بتناسخ
الأرواح . ورمى فيه الى بث الموعدة والحكمة ،

والحث على الفضيلة ، والتنفير من الرذيلة



بهذا نختم حديثنا عن القصة العربية في العهد
القديم ، وليس أماننا إلا كلمة عن القصة المصرية
في العهد الحديث

ليس من السهل أن يتصدى الناقد لمعالجة هذا
الموضوع ، فالحكم على الزمن القريب محفوف دائماً
بالريبة وإن حسن فيه القصد ، إذ أن للبيئة التي نحيا
فيها تأثيراً علينا يكاد يعمى بصائرنا عن إدراك
الحقيقة . فالعهد الحديث يجب أن يترك لنقاد
المستقبل يدرسونه في تودة وروية ، وفي جو صالح
يساعد على استجلاء الحقائق وتفهمها تفهماً نزيهاً .
ولكن هذا لا يمنعنا من أن نلقى بكلمة عابرة في هذا
الموضوع ، نستكمل بها حديثنا ، فنقول :

القصة المصرية لا يزيد عمرها عن الثلاثين عاماً
أو الأربعين ، فهي إذاً مازالت طفلة تحب ، وميراثها

ميراث ضئيل ، لا يعتد به اذا قارناه بتلك الثروة
 الضخمة التي ورثتها القصة الغربية الحديثة عن آدابها
 في القرون الخالية . والقصة المصرية لها ثلاث
 مراحل ، أو ثلاثة عهود . العهد الاول : عهد خضوع
 القصة لنفوذ الأدب العربي القديم . والثاني : العهد
 الذي حاولت فيه القصة التحرر من نفوذ الأدب
 العربي القديم والاتجاه نحو الأدب الغربي . والعهد
 الثالث : عهدنا الحاضر ، وهو عهد خضوع القصة
 للأدب الغربي .

فالعهد الأول وقع في أواخر عصر النهضة أو
 عصر إحياء اللغة العربية . وهو العصر الذي بدأه
 العاهلان العظيمان محمد علي وإسماعيل . وقد جاء هذا
 العصر بعد أحقاب طويلة مظلمة عانت فيها اللغة
 ضعفاً وهو أناً بالغين . وقد ظهرت المطبعة في مصر
 قبل محمد علي بقليل على يد البعثة الفرنسية وقت
 الاحتلال الفرنسي فكان لها شأن يذكر إبان عصر

الاحياء ، فانتشرت بواسطتها أمهات الكتب القديمة
 التي تداولتها الأيدي وأقبلت عليها النفوس الظامّة
 في شغف عظيم ، فكانت نتيجة ذلك أن طهر أدب
 جديد ، أدب حي ، له كثير من مظاهر الاستقلال
 الذاتي ، ولكنه كان مع ذلك خاضعاً في الحقيقة للنفوذ
 العربي القديم ، وأئمة هذا العصر هم البارودي والبركي
 والمويلحي ومن شابههم . وكان أخيرهم - المويلحي -
 أول من فكر في القصة المصرية الحديثة ، فألف
 كتاب حديث عيسى بن هشام . وبالرغم من تضلع
 المويلحي في بعض اللغات الأوروبية وقيامه ببعض
السياحات الهامة في أوروبا ، فقد ظلت ثقافته عربية
 صميمة ، ولكننا نظلم المويلحي ونظلم عصره إذا
 جردنا عما تجرّداً تماماً من النفوذ الغربي ، فقد عملت
 البعوث العلمية عملها في تقريب الثقافة الأوروبية
 إلينا ، ولكن تأثر الأدب بها ظل ضعيفاً . فلما أخذ
 المويلحي يؤلف كتابه ، واجه نفسه شطر المقامة فنسج

على منوالها ، إلا أن كتابه بزّ المقامة وتفوق عليها
بمراحل كبيرة ، وإن ظل دائماً في روحه « مقامياً » ..
لم يعن المويلحي في كتابه بالقصة كما يجب أن تكون ،
فلم يجعل لها وحدة مستقلة مترابطة الحوادث ، لها
عقدة يصوغ موضوعه عليها . بل اهتم بالجانب
الاستعراضي ، فأخذ يستعرض المناظر ، وينقد
الأخلاق في فكاهة مستحبة ، وأسلوب جذاب ، يفسده
بعض الفساد قليل من السجع . ولعل أكبر معجزات
هذا الكتاب أنه كان يعبر عن الذهنية المصرية
والروح المصرية في ذلك العهد ، ويعود هذا طبعاً
إلى أن الشعور بالقومية المصرية كان قد بدأ يستيقظ .
تجىء بعد ذلك المرحلة الثانية في تطور القصة المصرية
الحديثة ، وهي المرحلة التي بدأت فيها القصة بالخروج
من الدائرة التي رسمها لها الأدب العربي القديم ، وكان
ذلك على أثر ازدياد اتصالنا بثقافة أوروبا ، وازدياد
هذا الاتصال يعود إلى أمرين ، الأول : مركز مصر

السياسي، والثاني: إيماننا بحاجتنا إلى المدنية الأوروبية
التي اعتبرناها مثلاً للتقدم والنجاح، وكان على أثر
هذا الاتصال المتزايد أن أخذ بعض أدبائنا ممن أتموا
دراساتهم في أوروبا وتشبعوا بالأدب الغربي يحاول
التحرر من سيطرة النفوذ العربي الصميم، محتذياً في
ذلك الأدب الغربي. وكانت باكورة تلك الجهود
ظهور رواية « زينب » للدكتور هيكل، وهي أول
قصة مصرية توافرت فيها عناصر القصة الفنية

والى هنا تنتهى المرحلة الثانية، وتبدأ المرحلة الثالثة
حينما أخذت موجة الغرب تغطي وتتزايد، فرأى
القاص ~~المصري~~ ^{العربي} أن يدرس القصص الغربي
ويتعمق في درسه، ليضمن لنفسه التفوق والنجاح
في فنه، ولم يكن في ذلك بمخطيء، بل إنه سار في
الطريق الطبيعي. فالقصة الغربية بلغت في وقتنا هذا
أرفع منزلة، ووسع ميدانها أعمق الأبحاث وأخطرها،
واكتسب قصاصوها عن جدارة وحقاً كبير
الألقاب، فصارت بطبيعة الحال الهدف الذي نرمي

اليه ، والمعين الذى نستقي منه . وعاشت القصة فى هذه
البيئة لا تنسم إلا نسيم أوزبا ، فاختنقت به . وكادت
تتذكر لمواطنيها ، وأصبحت فى شكلها كالأوربي الذى
يأتى الى الشرق فيرتدى الجبة والقفطان والعمامة
ويسير فى أروقة الأزهر ، وهو يعتقد أنه انقلب الى
شرقى صميم . ونسينا أن عملية الهضم وتمثيل الغذاء ،
ذلك الغذاء الأوربي الدسم خلاصة القرون الماضية
يتطلب أعواما وأعواما حتى يتحول الى دم صالح
يجرى فى عروقنا ، دم مصرى يغذى عقولنا . ومن
ثم نستطيع التعبير فى عقلية مصرية خالصة ، فهل دنا
هذا الوقت ؟ لامراء فى أننا على عتبة هذا العصر الجديد
وحسبنا أن يظهر فينا مثل طه حسين بكتابه
الأيام ، وتوفيق الحكيم بأهل الكهف وعودة الروح ،
حتى نعلم أن القصة اليوم تجارى سائر النهضة
الأخرى ، فأخذت تتخلص من النفوذ الأوربي ،
وتظهر لأبناء وطنها مستقلة تبوأ مكانها فى الأدب
العالمى .

موضوعات المحاضرة

٣ نشوء القصة في العالم ومظهرها في العصر القديم

٥ الاساطير

٧ الشعراء الرحل

٩ الايام والاذيسة والانياد

١٢ المهارات والشاهنامة وكوميدي داني

١٣ أغاني رولان

١٤ دون كيخوتي

١٥ الديكاميون

١٨ القصص العربي

١٨ القصص المؤلفة والمترجمة

١٩ سبب وضع القصص المؤلفة

٢١ أسباب إهمال العرب للقصة

٢٦ القصص الفرامية في دولة بني أمية

٢٩ قصص الحرب والبطولة

٣٢ القصص العامية والفلسفية

٤٠ القصص المترجمة

٤٣ القصة المصرية في العهد الحديث

٤٣
٤٦
٤٧
٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد فقد حضر في هذا المجلس

الحسين بن علي بن الحسين

الحمد لله رب العالمين

(٢٦٦١) في هذا المجلس

الحسين بن علي بن الحسين

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد فقد حضر في هذا المجلس

(٢٦٦١) في هذا المجلس

الحسين بن علي بن الحسين

(٢٦٦١) في هذا المجلس

ما ظهر من مؤلفات محمود تيمور :

الحاج شامي وقصص أخرى

تولت طبعه ونشره لجنة التأليف والترجمة والنشر

أبو على عامل أرتت مجموعة قصص مصرية

الأطهرل رواية قصصية مزيلة ببعض أفاصيص

الشيخ عفا الله وقصص أخرى

(يصدر في شهر أبريل سنة ١٩٣٦)

الوثبة الأولى

يحتوى على المختار من قصص المؤلف التي ظهرت

في مجموعاته الأربع الأولى : الشيخ جمعة . وعم

متولى . والشيخ سيد العبيط . ورجب أفندي

(يصدر في عام ١٩٣٦)

قلب غايية وقصص أخرى

(يصدر في عام ١٩٣٧)

DATE DUE



808.3:T24nA:c.1

تيمور، محمود

نشوء القصة وتطورها

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01031343

808.3

T24nA

